

مؤسسة الشيخ عمي سعيد
ثقافة . تربية . تراث

الأيام الدراسية العلمية:

من الشيخ عمي سعيد بن علي الجري [ت 927 هـ / 1521 م]
إلى الشيخ جمو بن موسى عمي سعيد [ت 1425 هـ / 2005 م]

المحاضرة الثالثة⁽¹⁾:

التربية الإسلامية في نظامنا التعليمي
واقع وتطلعات

إعداد:

د. عبد القادر فضيل

1- المحاضرة أُلقيت بمناسبة عرس الأخ: جمو بن عيسى الزعبي في حفل أسبّارك.

موضوع هذه الكلمة:

التربية الإسلامية التي تعي النشاط التربوي الموجه لغرس القيم الإسلامية في نفوس الناشئة، وتهذيب مشاعرهم وإكسابهم الوعي بأهمية العقيدة في حياة الإنسان السوي، وتمكينهم من المعلومات المعينة على فهم العقيدة، وتربيتهم على السلوك الحياتي المطابق لروح هذه العقيدة، وهذا ما يتضمنه المفهوم الذي يعطي للتربية الإسلامية، هذه التربية التي هي مادة من مواد المنهاج الدراسي الذي يلحق للتلاميذ في مراحل التعليم المختلفة.

وتستهدف هذه المادة بالخصوص تلقين المعلومات والمفاهيم الدينية الشارحة للمبادئ والأفكار التي يقوم عليها الدين الإسلامي بصفته عقيدة وشريعة وقيما أخلاقية ونظاما اجتماعيا، كما تستهدف إكساب المتعلمين تصورا سليما وصحيحا عن مفهوم الحقيقة الدينية وعن دور الدين في تنظيم الحياة الفردية والجماعية، وعن مفهوم الإنسان الذي خلق لغاية حددها القرآن، وعن كون وصلة الإنسان بهذا الكون، وعن المعرفة المفيدة للإنسان، وسبل اكتسابها، وعن مسؤوليته الفرد في الحياة وفق تعاليم الإسلام.

ومن أهم الغايات التي تسعى التربية الإسلامية إلى تجسيدها في أوساط المتعلمين إكسابهم فهما صحيحا ودقيقا عن مكونات العقيدة وأحكام الشريعة (بحسب أعمار المتلقين) من خلال تزويدهم بالمعارف الدينية المستمدة من الكتاب والسنة، تلك المعارف التي تجعلهم يفهمون الإسلام وأحكام الإسلام وكيفية أداء هذه الأحكام فهما صحيحا ويعيشونه في حياتهم الفردية والجماعية.

فالتربية الإسلامية وفق هذا المفهوم تشكل العمود الفقري في نظام التعليم في بلد يدين بالإسلام ويجعل منه أساس حياته الاجتماعية، ويضبط سير المجتمع وفق القيم التي يدعو إليها بل يفترض أن تكون المحور المركزي الذي تنظم الخطة التعليمية على أساس توجيهاتها، ومن ثم فهي ليست مجرد مواعظ أخلاقية تشرح للتلاميذ ليعرفوا بها واجباتهم الدينية والأخلاقية فحسب، وليست مجرد معارف دينية وتاريخية نظرية تلقن للطلاب ليعرفوا ما يجوز وما لا يجوز من الأمور الشرعية فحسب، إنما هي أداة تربوية استراتيجية متصلة بحياة المجتمع، ويعتمدها النظام التربوي في صوغ وجدان الناشئة.

وإنما وعيهم، وتزكية نفوسهم، وتزويدهم بالطرائق والأساليب التي تعينهم على اكتساب الفهم الصحيح للحياة الدينية، والمعرفة الدقيقة المرتبطة بهذه الحياة والإيمان الحق، والسلوك المنسجم، لمجابهة التيارات التي تحاول تشكيكهم في قيمة ما يعتقدون للنيل من هويتهم والاستخفاف بانتمائهم، بل هي أكثر من ذلك هي الروح التي تنبض بحياة الإنسان الروحية والفكرية والعاطفية المتوازنة، إذ هي التي تدعوه لتحمل مسؤولياته

تجاه أنماط الحياة التي يرتضيها لنفسه ولمجتمعه، وتوضع له أساليب التعامل مع الآخرين ومع الأفكار التي تصله أو تواجهه، وكذا أسلوب التحرك الإيجابي داخل المجتمع ومعه.

التعامل الرسمي مع مادة التربية الإسلامية:

دروس الدين في نظامنا التعليمي غير منفصلة عن مواد المنهاج المقررة حتى وإن لم تعط لها مكانة متميزة في المجال العملي.

فمنذ استرجاع السيادة الوطنية أصبح التعليم الديني في النظام المدرسي مادة رسمية ضمن مواد التعليم، وقد دخلت هذه المادة (التي لم تكن موجودة في النظام الموروث) باسم التربية الدينية في البداية وتطور التعامل معها إلى حين تأسيس النظام التربوي الوطني عام 1976، النظام الذي عمق الاهتمام بها وأعطاهها مصطلح التربية الإسلامية ورفع حجم توقيتها من أقل من ساعة إلى ساعتين في المرحلة الأولى.

ومن الطبيعي أن تصبح التربية الإسلامية بعد استرجاع السيادة الوطنية محورا من محاور التعليم ومادة من المواد المكونة لشخصية المواطن، والمعززة لهويته، لأنها تجسم قيم المجتمع واتجاهاته الفكرية والعقائدية، وتعبر عن الروح والمشاعر التي تعيش في قلب الإنسان الجزائري.

إذ لا يشك أحد في أن الشعب الجزائري مرتبط ارتباطا قويا بالإسلام، ويعتبره العنصر الأساسي في حياته الروحية، والركن الرئيس في تكوين شخصيته وإقامة الإسلام، ولا يرضى بأن يطعن فيه أو يمس بسوء، وحتى الذين لا يلتزمون عمليا بأخلاق الإسلام، ولا يعيشون في سلوكهم اليومي القيم التي يدعو إليها القرآن نراهم في أعماقهم مسلمين متمسكين شعوريا بجوهر العقيدة.

ويستطيع المتابع لحياة المجتمع أن يلمس عدد من السمات التي تؤكد هذا الارتباط بالدين منها:

- ❖ التقدير الذي تحظى به المناسبات الدينية والشعائر الإسلامية لدى الكثيرين من أبناء هذا الوطن.
- ❖ التعاطف والتضامن مع المحتاجين والمحرومين مما يؤكد وجود دوافع دينية وروحية تحرك في الناس عاطفة الخير والإحسان والتعاون.

❖ الميل إلى المعرفة الدينية وتقدير الذين يملكون هذه المعرفة.

❖ الرفض المطلق للنزعة اللائكية والتفكير الإلحادي.

❖ مقاومة الأفكار والسلوكات التي تمس جوهر الدين وتسيء إلى العقيدة، وتتهم الإسلام بما هو بريء منه.

❖ وجود هياكل ونظم رسمية مكلفة برعاية الشؤون الدينية والذود عن الإسلام ونشر الأخلاق الإسلامية (وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، المجلس الإسلامي الأعلى).

فالمتتبع للتاريخ يلمس حقيقة ناصعة، هي: أن الشعب الجزائري رغم المحن التي عاشها في فترات الغزو والاحتلال ظل متمسكا بدينه، وفيما لعقيدته، فلم يفرط في عقيدته لحظة واحدة طوال المدة التي سلبت منه فيها أرضه وسيادته، وظلت الأجيال المتعاقبة موحدة بشعار الإسلام متمسكة بكتاب الله الذي حفظ لها عقيدتها ووحدتها ولغتها.

لذلك كله حرصت المناهج التعليمية على ترجمة ما يعيش في أعماق الشعب توجه ديني ثقافي (ونلمس ذلك من خلال الأهداف المحددة في المنهاج) ولكن التغييرات السياسية التي حدثت في عهد الانفتاح والتعددية السياسية جعلت البعض من المسؤولين يطرحون المسألة الدينية طرحا غير تربوي، إذ أصبحوا ينظرون إلى الدين على أنه معوق من معوقات التنمية، لأنه في رأيهم يصرف اهتمام الناس عن مشكلات الحاضر ويربطهم بالماضي والتراث، ويبقيهم بعيدين عن السلوك الحضاري الذي يفرضه التطور العلمي، والاقتصادي والتكنولوجي.

ونتجت عن هذه النظرة الضيقة بعض الأفكار التي تنسب إلى الإسلام أشياء لا علاقة لها بالإسلام، وهذه أحد الأسباب التي قللت من الاهتمام العلمي بهذه المادة، لأنها في رأي من يتحفظون عليها لا تسهم في تحقيق النهضة المنشودة التي تقوم على التقدم العلمي والتكنولوجي، وينسي أصحاب هذه النظرة أن ليس هناك تعارض بين العلم والدين وبين العناية بترقية الحياة المدنية والاهتمام بالحياة الروحية، والأخذ من هذه لهذه (ليس بخيركم من ترك دنياه لأخرته ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعا).

لأن التربية التي تعني بالروح هي التي تجعل الإنسان متوافقا مع ذاته، باحثا عن الأسباب التي تجعله سيد نفسه، مسخرا ما يحققه من تطور لخدمة الإنسان، فالتربية الصحيحة هي التي تجمع بين العلم والإيمان والدين والدنيا، وتنظر إلى الإسلام على أنه محرك ودافع إلى هذا النوع من التربية الشاملة والمتوازنة التي لا يكون فيها أفراد المجتمع مبتورين عن أصولهم، ولا متروكين على هامش الحياة المتطورة.

الواقع النظري (مكانة التربية الإسلامية في منظور النصوص الرسمية):

من المعلوم أن النظام التربوي في كل بلد يستلهم في خططه ومشاريعه وغاياته النصوص الرسمية التي تؤسس مشروع التربية، وتحدد المبادئ والقواعد التوجيهية التي تعطي للنظام التعليمي لونه، وتحدد وجهته، وتضبط مسالكه، ويعد الدستور في هذا المجال النص الرسمي الأول الذي تستمد منه التربية مشروعيتها، وطبيعة أهدافها، وتأتي بعد الدستور الوثائق الأخرى التي تترجم توجهات الأمة، مثل بيان أو نوفمبر

والمواثيق والأمر المنظم للتربية والتكوين ، والتوجيهات السياسية التي تصدر عن الهيئات العليا والتي حصل الإجماع بشأنها.

ونود في هذه الكلمة أن نشير إلى مكانة الإسلام والتربية الإسلامية في منظور هذه النصوص التي ما تزال تشكل المرجعية التي تطرح مسألة التربية الإسلامية في النظام التعليمي ، وتحدد الدور والمسؤوليات المنوطة بهذه التربية في مجالات التثقيف والتكوين.

1- ما ورد في الدستور:

ينص الدستور في مادته الثانية على أن الإسلام دين الدولة ، ويحدد في مادته التاسعة دور مؤسسات الدولة في المحافظة على السلوك الإسلامي وحمايته ، إذ لا يجوز -كما ورد في هذه المادة- أن تقوم المؤسسات بالسلوك المخالف للإسلام وقيم ثورة نوفمبر 1945 ، وهذا يعني أن من مهمات الدولة تجميد الإسلام وحمايته والعناية بتعليمه للمواطنين ، والوقوف في وجه من يحاول الاستخفاف به ، واليمين الدستورية التي يؤديها رئيس الجمهورية حين تسلم مهامه تتضمن هذا المعنى.

2- ما ورد في الميثاق الوطني:

(... إن الشعب الجزائري شعب عربي مسلم ، والإسلام دين الدولة ، وأحد المقومات الأساسية للشخصية الوطنية ، وقد ثبت أنه كان عاملا أساسيا في تعبئة طاقات المقاومة ضد محاولات الغزو الأجنبي ، وحصنا منيعا مكن الشعب من إحباط جميع مشاريع النيل من شخصيته ، وورد في سياق آخر : (ليس هناك أدنى شك في أن الإسلام يقدم لنا في هذا المجال (الثقافي) ما نحتاج إليه ، ويمكن الشخصية الوطنية من التطوير في ظل توازن نفسي روحي يجنبها مخاطر الاستلاب والانحراف والجمود ، إذ هو كعقيدة وممارسات وقيم يجد الفكر ويحث على الاجتهاد ويحفز على العمل ويعطي للأخلاق مفهوما نضاليا).

ويحدد الميثاق الدور المسند للمنظومة التربوية فيقول : "المطلوب من المنظومة التربوية أن تسعى لتوفير شروط التثقيف الديني السليم مع الحرص على توفير تعليم متخصص في جميع الفروع بحيث يسمح باكتشاف المواهب ، ويساعد على تكوين علماء متمكنين من علوم الدين ، متضلعين في علوم الدنيا ، مؤهلين لفهم مشكلات العصر".

إن أن يقول : "هذا هو الإطار الذي تؤكد فيه الثورة عزمها على أن تولي الإسلام ما يستحقه من عناية في مساعها لتحقيق التنمية الوطنية".

3- ما ورد في الأمر المنظم للتربية والتكوين:

جاء في الديباجة: فالإسلام هو الذي صاغ ملامح الشخصية الوطنية للشعب الجزائري، وأعطى لكيانه أبعاده الأساسية وطابعه المميز... لقد فهم الشعب الجزائري الإسلام على أنه نظام اجتماعي كامل متكامل يرمي إلى إقامة مجتمع إنساني تسوده العدالة والحرية والمساواة وأن يعمل فيه كل فرد 'لدينه كأنه يعيش أبداً ولا آخرته كأنه يموت غدا'.

وفي المادة الثانية من المبادئ العامة لهذا الأمر يحدد ما يلي:

"رسالة النظام التربوي في إطار القيم العربية الإسلامية... هي كذا وكذا..."

وفي مجال ذكر الأهداف تنص المواد على "إكساب التلاميذ السلوك والمواقف المطابقة للقيم الإسلامية".

ونقرأ في مقدمات البرامج جملة من العبارات التي تعطي من شأن التربية الإسلامية (انظر برنامج 64 وبرنامج 68 و74 وبرامج التعليم الأساسي الخاصة بالأطوار الثلاثة).

إن استقرار هذه النصوص يعطينا فلسفة تربوية وطنية في مجال تحديد الأسس العقائدية التي تقوم عليها التربية بصفة عامة والتربية الإسلامية بصفة خاصة، فهي تجمع بين ما يربط الجزائري بأصوله ومقومات شخصيته وبين الحقائق الحضارية التي يعيشها في عصره، فالتربية الإسلامية من منظور الوثائق المؤسسة للتعليم هي لب المنظومة التربوية، ونواتها المركزية لأنها تنمي في المتعلم القيم الأخلاقية والجمالية وغيرها من القيم الإنسانية التي تبني إنسانية الإنسان، هذا على المستوى النظري، ولكننا حينما نستعرض المكانة الفعلية المخصصة للتربية الإسلامية في الواقع التعليمي نجدها غير منسجمة مع ما طرحته النصوص الرسمية أي أن هذه المكانة التي رسمتها المناهج عمليا لا ترقى إلى مستوى المواد التعليمية الأساسية التي يتوقف عليه مستقبل التلميذ المدرسي، والذي يفسر ذلك: الأوضاع التي تعيشها التربية الإسلامية ومنها: الأوضاع العلمية التالية:

4- الوضع المتعلق بالوعاء الزمني:

إن التوقيت المخصص لهذه المادة في مستوى الطورين الأول والثاني (ساعة ونصف) وساعة واحدة في المتوسط لجميع المجالات لا يترجم الأهمية التي يكتسبها تعليم هذه المادة، ولا يتناسب مع الأهداف المحددة لكل مجال من المجالات المقررة: القرآن والحديث، العقيدة، العبادات والمعاملات، الأخلاق، السيرة النبوية، إن مثل هذا التوقيت لا يتيح للمعلم أن يستوفي ما هو مقرر في مجال واحد في مستوى المعرفة فضلا عن بقية المجالات، وعما هو مطلوب منه في مستوى الرعاية التربوية التي تستوجب منه تربية النشء تربية إسلامية، يضاف إلى ذلك عدم الاستقرار الذي تعرفه المادة في المواقيت من جهة وفي الموضوعات من جهة ثانية، إذ عرفت المادة في الماضي القريب عددا من إجراءات التعديل التي انصبت على تقليص التوقيت

أحيانا ، وعلى تقليص المضامين أحيانا أخرى ، والطريقة التي يتم بها تقليص المضمون المقرر لكل سنة سواء على مستوى القرآن أو الحديث أو الدروس المتعلقة بالعقائد والعبادات وحتى الأخلاق والآداب العامة لا تدل على وجود أساس تربوي قام عليه التخفيف والتقليص وإنما هو إجراء عشوائي في غالب الأحيان كانت الغاية منه حذف بعض الآيات والأحاديث التي يظن الظنون أنها لا تفيد أو تثير مشاعر معينة.

5- الوضع المتعلق بالمعامل:

إن المعامل الذي يعطى لهذه المادة في الامتحانات الرسمية وكذلك التقدير الذي تعامل به النتائج المحصل عليها في الدروس ، وفي مختلف التقويمات لا يجعل التربية الإسلامية ضمن قائمة المواد الأساسية التي تحظى بمعامل قوي يعطيها المكانة الأولى في التعليم ، كما هو الشأن بالنسبة إلى اللغة والرياضيات والعلوم.

6- الوضع المتعلق بتكوين المؤطرين لهذه المادة:

إن ضعف التكوين الذي يتلقاه المؤطرون في مستوى التعليم الأساسي بالخصوص سواء أكانوا معلمين أم مفتشين أمر ملاحظ في الميدان ، إن الكثير من هؤلاء الذين يسند إليهم تدريس التربية الإسلامية. لا يحفظون حتى السور القصار من القرآن ، ولا يحفظون كذلك الأحاديث التي تتصل بالجانب العقائدي والعبادات والأخلاق ، ولا يعرفون أصول التلاوة الصحيحة ، تراهم يقرؤون الآيات قراءة الجرائد ، بل أحيانا يخطئون في الأداء ، وقد نجد بعضهم لا يفرق بين الآية والحديث أو بين الحديث والحكمة والقول المأثور ، ثم إنهم لا يملكون الثقافة الإسلامية التي تؤهلهم لتربية النشء على مبادئ الإسلام وتمكنهم من فهم هذه المبادئ التي تقوم عليها أحكام الشرع ، إن المعلم الذي تسند إليه التربية الإسلامية سواء في المرحلة الابتدائية أو في المرحلة الإكمالية ليس معلما متخصصا في هذه المادة ، ففي الابتدائي يدرسها المعلم الذي يدرس بقية المواد التعليمية ، ومن الصعب أن يكون المعلم مؤهلا لتدريس إحدى عشرة مادة ، وفي المرحلة الإكمالية يدرسها أستاذ اللغة ، وقد تسند إلى أستاذ مادة أخرى والسؤال الذي يطرح : لماذا لا يدرسها أستاذ متخصص على غرار المواد الأخرى؟

7- الوضع المتعلق بطرائق التدريس:

إن الطرائق التي تلقن بها فروع هذه المادة لا تخرج عن أساليب التلقين والتحفيز ، لأن برامج التكوين التي يتلقاها هؤلاء لا تتيح لهم الاطلاع الكافي على الطرائق الملائمة لكل مجال من مجالات التربية الإسلامية والسبب في ذلك هو أن النظرة إلى هذه المادة ما تزال نظرة لا ترقى إلى مستوى المواد الأخرى ، وهذا ما يجعل عملية التقويم في نهاية فترة التكوين لا تأخذ بعين الاعتبار النتائج المحصل عليها في التربية الإسلامية فيتخرج المعلم وهو لا يملك مؤهلات كافية تمكنه من ممارسة المهمة التي ترشح لها.

وما سبق يتبين أن التربية الإسلامية ما تزال في مدارسنا عبارة عن حصص تعليمية مكملّة تقدم خلالها بعض المعارف الدينية والمواظ على الأخلاقية النظرية بطريقة سردية تلقينية تخلو من التحليل والتعليل حتى مع الذين تجاوزوا مرحلة الطفولة، لذلك فهي غير مؤثرة نظراً لخلوها من الحرارة الإيمانية والفهم العميق والتعليل الوافي والتحديد الدقيق مما يحول الدروس الدينية والأخلاقية إلى دروس في المعرفة والتاريخ، وهذا ما يدفعنا إلى القول: إن واقع تدريس التربية الإسلامية كما يجري العمل به لم يعد يستجيب لتوجيهات الأمة وانتظارات المجتمع، بالرغم من التوجيهات السياسية التي تلح على وضع هذه المادة في طليعة المواد الأساسية لما لها من أهمية في ترقية الحس الديني والوعي الأخلاقي الفردي والجماعي، وتقوية ارتباط المتعلمين بأصولهم. ومرد ذلك إلى المحيط الخارجي الذي يؤثر تأثيراً قوياً في نظرة المسؤولين والمشرّفين على تخطيط المناهج، إننا حينما نتأمل ما يدور في هذا المحيط نجد الاهتمام بالتربية الإسلامية ضعيفاً، بل نجد أحياناً من يتحفظ على إقرار هذه المادة في المناهج التعليمية، أو يعلن استخفافه بها، ويرجع السبب فيما نقرؤه من كتابات تستهين بالقيم الإسلامية أو بالبرامج التي تهتم بهذه القيم إلى ما يكتب عن الإسلام في الغرب وإلى الخلط الذي تتعمد بعض الجهات بين الإسلام كحقيقة دينية خالدة، وبين سلوط بعض المسلمين والذي لا يقره الإسلامي، ونتيجة لهذا الخلط المتعمد أحياناً توجه الدعوة إلى بعض الدول الإسلامية أو إلى بعض الشخصيات التي لها نفوذ فتتصحها بتقنية البرامج الدينية من الآيات والأحاديث والموضوعات التي تدين الظالمين المعتدين، وتعلي من شأن المقاومة والجهاد في سبيل الله، وإعداد العدة لمواجهة الغزو الأجنبي الصليبي، إن هذه الدعوة دعوة ظالمة مريبة يبتغي أن يتنبه إليها المسلمون.

فنحن كأمة لها سيادتها نرفض أن تملى علينا توجيهات معينة، وخاصة إذا كانت هذه التوجيهات تمس رموزنا ومقومات وجودنا، فوجودنا كأمة مستقلة يعود الفضل فيه إلى المقاومة والجهاد، ومن أجل ذلك نرفض أن ينظر إلى الجهاد الشرعي على أنه إرهاب وسلوك معاد للإنسانية يجب أن يحذف من المناهج.

ويبدو أن السبب الذي جعل التربية الإسلامية (التعليم الديني) لا تحظى بالمكانة المطلوبة هو النظرة التي ينظر بها إلى الإسلام، وتبناها بعض الجهات عندنا، هذه النظرة قد أثرت سلباً -على ما يبدو- في تفكير من أسندت إليهم الدولة مناقشة قضايا التربية⁽¹⁾، ومراجعة السياسة التعليمية. ونخشى أن تمتد هذه النظرة إلى القائمين على التربية أو المسؤولين عن تخطيط المناهج فتجعلهم ينظرون إلى المادة نظرة المتخوف على ما قد

يلحق الجيل المتعلم من اضطراب في التفكير والرؤية، وانحراف في السلوك وهي نظرة من لا يفهم الحقيقة الإسلامية فهما صحيحا **أنظر**.

* تقرير وقائع الدورة الرابعة للمجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي أكتوبر 1995:

إننا نلمس منا يشير إلى هذه النظرة الضيقة في تقرير المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي حين يقول: "المدرسة التي ينتظر منها تنمية الذهنية النقدية لدى الطفل، وتنمية روح المسؤولية، وخاصة المسؤولية المدنية تتحول هذه المدرسة تدريجياً إلى مكان تكوين مخلوقات جديدة خاضعة تماماً للذين لم يستطيعوا أن يحققوا لهم السعادة على الأرض فيضمنون لهم الجنة في الآخرة"، والنقد هنا موجه لمعلمي التربية الإسلامية أو لدعاء الصحة الدينية، فالأفكار الإسلامية التي تنشرها المدرسة -في رأيهم- تكون مخلوقات غريبة، وخاضعة للخطاب الديني الذي يعد الناس بالجنة، وهو لا يستطيع أن يحقق لهم السعادة في الدنيا. فينبغي أن لا نغمر أعيننا عن مثل هذه المحاولات التي يحاول أصحابها إقناع المسؤولين (من ييدهم القرار) بأن الدين مسألة شخصية ينبغي أن لا تعالجها المدرسة إلا من هذه الزاوية، إن مثل هذه المحاولات ترمي إلى التقليل من أهمية الدين في حياتنا الاجتماعية وهي التي جعلت البعض يحمل الإسلام مسؤولية التخلف الذي تعيشه البلاد الإسلامية.

إننا نقرأ الكثير مما يكتب عن هذا الموضوع في الصحف الوطنية وغير الوطنية وكان بالإمكان أن تضع الدولة حداً لهؤلاء الذين يستخفون بالإسلام ويهجمون على من يتمسك به، ويعتبرونه "رجعياً" تارة و"ظلامياً" تارة أخرى. وينبغي أن لا نخجل من تبيان جوانب التناقض الذي يعيشه التلميذ بين ما يدرسه في المدرسة، وما يعيشه خارج المدرسة الأمر الذي يقلل من اهتمامه بالمادة، وأحياناً يشككه في قيمتها، فالمطلوب من المنظومة التربوية أن تحمي الشباب من الأفكار الدخيلة التي تتعارض مع قيمهم وهويتهم وأصالتهم، ولا يعني هذا أنها تعزلهم عن العالم الذي يعيشون فيه، ولا تتيح لهم الاتصال بالأفكار والآراء التي تروج خارج وطنهم، وإنما يعني أنها تسلحهم بالفكر المستنير الذي به يستطيعون مواجهة الأفكار والآراء والتحاور معها، وتعلمهم كيف يناقشون؟ وكيف يحللون؟ وكيف يفهمون الآخر؟ وكيف يبلغون ما عندهم من أفكار ورؤى.

* الآفاق والتطلعات:

1. إن ما نتطلع إليه في مجال مراجعته أوضاع التربية الإسلامية التي أصبحت في السنوات الأخيرة تفتقر إلى الاستقرار والاهتمام اللائق هو:

2. أن يصبح التخطيط لتطوير الفعل التربوي وإصلاح أوضاعه قائمة على الاتجاهات الفكرية المتوازنة التي تميز الحضارة الإسلامية تلك الاتجاهات التي تضع التفكير الإسلامي الصحيح أساس الوجهة المستقبلية التي يتبناها النظام التربوي بحيث تصبح العناية بالإسلام ونشر حقائقه عناية بالإنسان وواقعه المتغير، والسير به

وفق متطلبات الحياة المعاصرة، مما يفرض أن يكون هدف التعليم الديني ربط الإيمان بالعلم والعلم بالعمل والفرد بالمجتمع والماضي بالحضارة والدين بالدنيا وتربية الأجيال على الاعتزاز بمقومات وجودهم، والتمسك بأصول هويتهم، بحيث تصبح التربية الإسلامية مادة محورية في مناهج التعليم تشع على بقية المواد وتؤثر في تنظيم المحتويات التعليمية وفي الأساليب التي تنفذ بها.

3. كما نتطلع أن يتغير موقفنا الرسمي العملي من التربية الإسلامية فكراً وعملاً وطريقة بحيث يتجه الاهتمام إلى إعطائها مكانة متميزة وجعلها من أهم أدوات التجديد والتطوير والإحياء إحياء ما اندرس من الاتجاهات التي ركزت عليها الثقافة الإسلامية في أزهى عصورها، ويقتضي هذا التعامل الرجوع إلى الكتاب والسنة والاهتمام بهما في رسم معالم الحياة الاجتماعية والثقافية، كما يقتضي في الوقت ذاته مسايرة حقائق العصر بوعي دون انعزال عنه أو ذوبان فيه.

4. وفي ضوء هذه العودة الواعية إلى أصول حضارتنا نستطيع أن نستوعب ونستحضر كيف تعامل الإسلام من الحضارات الأخرى؟ وكيف استقبل تراثها وعلومها وكيف وظف منتجاتها ترجمة وتفاعلاً وتكيفاً وإضافة بروح إنسانية واعية، كما نستطيع أن ندرك مسؤولياتنا اليوم في هذا العصر وفق التوجيهات الإسلامية الحقة ومتطلبات الاستفادة الضرورية من التطور العلمي والتكنولوجي، ولكي نصل إلى هذا المستوى ينبغي أن نعتد في خطتنا التربوية المنطلقات التربوية التي تجعلنا متوافقين مع ذاتيتنا ومع متطلبات العيش في هذا العالم الذي نحن جزء منه.

ومن أهم هذه المنطلقات التي ينبغي أن تراعى في معالجة قضايا التربية الإسلامية ضمن النظام التربوي :

1. التركيز على ترسيخ العقيدة في نفوس المتعلمين لأن العلم الذي هو غاية الجهد المدرسي يجب أن يقرن بالإيمان حتى لا يواجه الإنسان وجهة غير سليمة.

2. السعي إلى ربط الفرد المتعلم بالمجتمع الذي يعيش فيه من خلال تمثل القيم التي تؤمن بها، والعيش من أجلها وتقدير التوجيهات الجماعية والمثل العليا.

3. الاهتمام المركز على ربط المتعلمين بالعصر الذين هم جزء منه ويعيشون حقائقه، ويتأثرون بهذه الحقائق التي تعيش معهم وحولهم ومن هذه الحقائق يصنعون مستقبلهم.

4. السعي الحثيث إلى اكتساب المتعلمين القدرة على ممارسة العمل الإيجابي وإحداث التغيير (تغيير سلوكهم وتغيير ظروفهم) نحو التي هي الأحسن.

هذه بعض المرتكزات التي ينبغي أن تراعى في ضبط توجيهات التربية الإسلامية.

إن الآفاق التي نتطلع إليها من وراء إصلاح المنظومة التربوية هي : أن تصبح التربية الإسلامية في مناهج التعليم ذات مكانة إستراتيجية موجهة لكل الأنشطة التعليمية بحيث تكون المحور الجوهري (المركزي) الذي تجتمع حوله كل القيم الفكرية والأخلاقية والاجتماعية التي تُنشئ أبناءنا عليها ، ويعني هذا أن تصبح مادة الدين (سواء في شكل تربية إسلامية أو علوم إسلامية أو ثقافة إسلامية) في طليعة المواد الأساسية المقررة في مناهج التعليم.

وهي أن تكون نظرتنا إليها نظرة الواثق من قدرتها على الإسهام في صنع شخصية الفرد الذي نريده ، ونمط المجتمع الذي نطمح إليه ، ولكي تحتل التربية الإسلامية مكانتها الحقيقية يجب أن يمكنها القائمون على التعليم من ممارسة وظائفها التربوية التي يتوخى المجتمع من ورائها تكوين جيل متخلق بأخلاق الإسلام معتز بأمجاده وتاريخه ، واثق من قدراته ، واع بمسؤولياته التي يتطلبها العيش في مجتمع يتطور ، وواقع يتغير. لذا لا بد من مراجعة الوضع الذي تعيشه التربية الإسلامية وترقية جهودنا في هذا المجال بما يستجيب لتوجيهات الأمة واهتمامات الشعب ويترجم الواقع النظري حول نوع التربية التي يهتم بها القرآن وتطرحها النصوص الشرعية.

إن أهم محور ينبغي أن يركز عليه في مجال المراجعة والإصلاح هو البحث المركز عن نوع التربية التي تدعونا التوجيهات القرآنية ، تلك التوجيهات التي ينبغي أن تسهم في تحديد المضمون التعليمي وفي استخلاص العناصر التي يجب أن تراعى في ضبط الخطة وفي تصميم المناهج.

ومن العناصر التي يجب أن تراعى في تحديد المضمون :

1. نظرة القرآن إلى الإنسان والغاية من تعليمه.
2. التركيز على العقيدة وتقويم الأخلاق.
3. منشأ المعرفة وسبل اكتسابها.
4. كون العقل محور الفلسفة التربوية في الإسلام.
5. اعتبار الحواس مدخلا أساسيا للمعرفة.
6. قيمة العلم في القرآن وفي التوجيهات النبوية.
7. اقتران العلم بالعمل أو مكانة العلم الطبيعي.
8. الحرية والمسؤولية.
9. التعليم عملية مستمرة لترقية حياة الإنسان.

10. أهمية القراءة في تنمية الوعي والمعرفة.

هذه العناصر ينبغي أن تكون دليلنا في تحديد المحتوى المعرفي.

ومن العناصر التي يجب أن تراعى في تصميم المناهج وبناء الطرائق :

مراعاة التكامل في بناء شخصية الإنسان ، فالتوجيهات القرآنية حددت أركان المناهج والأسس المعتمدة في بناء الشخصية السوية ، وأوضحت للقائمين على التعليم المنهج الذي ينبغي أن يتبع في تنشئة الأفراد وتعليم الكبار ، وإيقاظ وعي الناس عموماً وإعدادهم إعداداً شاملاً عقلاً وروحاً وجداناً وخلقاً وجسماً وفق الغايات التي رسمها الإسلام لحياة الإنسان ، وحسبما تسمح به قدراتهم واستعداداتهم كما أوضحت الأساليب المطلوبة التي ينبغي الأخذ بها في التعامل مع شخصية الفرد ، وما يتطلبه العيش مع الجماعة ، مما يؤهله لإدراك حقيقة ذاته ومعرفة أسرار الكون ، والمسؤوليات المنوطة به كفرد يعيش ضمن مجموعة.

ولتحقيق هذا نتطلع إلى ما يلي :

أولاً: المقترحات في مجال الأهداف العامة للتربية الإسلامية:

من أهداف التربية الإسلامية التي ينبغي أن تتجه إليها الجهود التعليمية مدارسنا ما يلي :

1- أن يصبح منهاج التربية الإسلامية إطاراً موحداً لجميع أنشطة التعليم ، ومنطلقاً استراتيجياً لفهم الحقائق التي يعالجها الإسلام فهماً صحيحاً. بحيث تنتقى الموضوعات التي تمكن شخصية المتعلمين من التطور في ظل توازن نفسي وروحي ، يجنبهم مخاطر الاستلاب والانحراف والجمود ، ويذكي في نفوسهم حب المعرفة وروح النضال والمقاومة من أجل إثبات الذات ومواجهة كل ما يهدد وجود الأمة في شخصيتها النضال والمقاومة من أجل إثبات الذات ومواجهة كل ما يهدد وجود الأمة في شخصيتها ودينها ولغتها وثقافتها.

وبهذا تصبح الغاية الأساس من التربية الإسلامية تكوين جيل متوازن في تفكيره وفي سلوكه ، متشبع بالروح الإسلامية ، واع بالدور المنوط به ، باعتباره فرداً يعيش في جماعة ، مقدراً للجهود التي أسهمت بها أمته في إثراء الحضارة الإنسانية وهذا من شأنه أن يدفعه إلى تعميق ثقافته ليرسم لنفسه المستقبل الذي ينشده.

2- أن تتحول النظرة إلى التربية الإسلامية من اعتبارها مادة تعليمية يركز فيها على تلقين المعرفة من أجل المعرفة ، إلى مادة تربوية ثقافية ، وتنقف العقل ، وتربي الوجدان وتعمق اهتمام الناس بالجوانب الحضارية

والثقافة التي تزخر بها الثقافة الإسلامية والتاريخ الإسلامي ، والسيرة النبوية الحية ، وينبغي أن يكون معامل هذه المادة في الامتحان متوافقا مع هذه النظرة.

3- تربية الأجيال على التماسك بالروح الدينية الصادقة فكرا وعقيدة وسلوكا ، وتمكينهم وفق تدرج منهجي حسب الأعمار والمستويات من التفقه في كتاب الله وسنة رسوله فهما وتدبرا.

4- تعريف الإنسان بحقيقة نفسه وحقيقة الكون الذي يعيش فيه ، وتوجيهه عن طريق تلك المعرفة إلى الإيمان الحق بالإسلام وإلى التمسك بالقيم السلوكية والمواقف الحياتية التي يحث عليها الإسلام ، وتنسجم مع روح العقيدة ، وتحقق ما يسعى إليه النظام التربوي في مجال تنشئة الأجيال.

5- تزويد المتعلمين بقدر كاف من العلوم الشرعية والثقافة الإسلامية التي تتلاءم وقدرات الاستيعاب لديهم ، بهدف تمكينهم من تمثل القيم والأخلاق التي لا تكتمل شخصية المسلم إلا بها.

وهكذا يتأكد أن التربية الإسلامية (الموضوع الذي تعالجه هذه الكلمة ، ليست محصورة في الجانب السلوكي ، أو في معرفة ما يجوز وما لا يجوز فحسب ، إنما تتجاوز ذلك إلى الأمور الدينية الضرورية المتعلقة بفهم حقيقة الإسلام ، والأحكام الشرعية المتعلقة بالحياة الاجتماعية.

هذا في مجال المعرفة أما في المجال التربوي فالتربية الإسلامية تركز على إبراز الممارسات الهادفة إلى تجسيد الحقائق التي تعتمد في تنظيم حياة الناس وتدير شؤونهم ، كما تركز على تربية الروح الدينية التي تبقوهم أوفياء لعقيدتهم ، متمسكين بأصول حضارتهم ، مقتدين بسيرة نبيهم ، حريصين على التمسك بما يدعو إليه القرآن.

فالتربية الإسلامية لها بعدان :

* بعد تعليمي معرفي يتمثل في تحفيظ قدر من القرآن والحديث ، ومعرفة كافية بالمعلومات الفقهية.

* بعد تربوي ينطلق أساسا من غرس الإيمان في نفوس الناشئة وتقوية العقيدة والسعي إلى ترجمة هذا الإيمان في مواقف سلوكية. فالإسلام كما عاشه سلفنا الصالح وشرحته السنة النبوية ليس اهتماما بالماضي والتراث ، وإغفالا للحاضر والمستقبل. وليس انغلاقا على الذات وانقطاعا عن الدنيا ، وإنما هو الدين الحق الذي يجد الفكر والعلم ، ويحث على استخدام العقل ، ويعلي من شأن العمل المفيد الذي يجعله عبادة ، وما نقترحه في مجال تحديد الأهداف أن نتجنب الصيغ اللغوية الفضفاضة التي لا تحدد بدقة الملمح المعرفي والسلوكي الذي نريده ، فالهدف يجب أن يكون دقيقا وواضحا وقابلا للتنفيذ بحيث يحدد المستوى الأدائي الذي يجب أن يكون

عليه التلميذ و الطالب بعد تلقي البرنامج المقرر، كما يحدد نوع المعلومات التي ينبغي أن يكتسبها كل متعلم، والأثر السلوكي المرتبط بهذه المعلومات ومستوى التفكير الذي يعالج من خلال الدرس الديني.

ثانيا: المقترحات في مجال ضبط المناهج:

إن أهم نقطة تطرح في مجال ترقية الاهتمام بالتربية الإسلامية وتحسين الواقع الذي تعيشه هو تصميم المناهج الذي يعالج القضايا المختلفة المتعلقة بالمجالات الدينية التي يشملها المنهاج التعليمي في كل فترة من فترات التعلم، وفي كل مرحلة من مراحل التدريس.

والمنهاج التعليمي لا يكتسب الصفة التربوية الصحيحة التي تجعله منهاجا فعالا وملائما إلا إذا انطلق من أهداف واضحة ومحددة بكيفية تيسر تناولها، ومتدرجة حسب مستويات المتعلمين وضبط لكل مجال من المجالات الوعاء الزمني الملائم.

لا بد أن يركز الاهتمام في مجال ضبط المحتويات الدينية على السور والآيات القرآنية والأحاديث المتعلقة بالعقيدة و الشريعة و الأخلاق حتى يكون الطالب على بينة من الأمور التي لا بد أن يُلمَّ بها، وليكون البرنامج التعليمي وظيفيا يجب أن يفصل المنهاج ويرتب ويمنّج وفق قدرات الطلاب ومستوياتهم، ويتطلب الأمر حينئذ أن يسند أمر بناء المنهاج إلى لجنة متخصصة مكونة من ذوي الخبرة و الكفاءة ومن الوزارات المعنية (وزارة التربية، وزارة الشؤون الدينية، وزارة التعليم العالي، المجلس الإسلامي الأعلى).

1- ما ينبغي أن يركز عليه في المنهاج الديني :

إن الذي يجب أن يهتم به المنهاج ويرتكز عليه المعلمون في مجال التربية الإسلامية هو: تبيان مفهوم الدين الحق الذي حدده القرآن وبينته السنة النبوية.. إن الدين الحق هو القيمة الأولى في العلاقات الاجتماعية المؤدية إلى التآلف والترابط والتناصر والتناصح: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [الحجرات:13]. يقول الماوردي: في كتاب أدب الدنيا والدين: (إن الدين هو الذي يبعث على التناصر، ويمنع التقاطع و التدابر)، و المجتمع هو الذي يقع عليه عبء تبليغ هذه الحقيقة وتوظيفها في مجال التنشئة الاجتماعية والتطبيع الاجتماعي.

لذلك تستلهم المدرسة قيمها من قيم المجتمع وأهدافها من انتظارات المجتمع، فالجانب التربوي و الجانب الاجتماعي متكاملان لأنهما وجهان لشيء واحد هو تربية الإنسان وفق خصائص زمانية ومكانية ومتطلبات مجتمعية.

فالتربية هي وسيلة المجتمع المثلى في تحقيق النهضة الشاملة وإحداث التغيير المنشود..ولكن التربية لا يمكنها أن تحقق ذلك إلا إذا كانت مشاريعها نابعة من حاجات المجتمع ومن خصوصياته ، وكانت تركز في سيرها على قواعد علمية وحقائق هي من صميم حقائق العصر.

2- ينبغي أن لا يخضع لانتقاء الموضوعات التي تبرمج في مجال التربية الإسلامية لضغوطات ظرفية ، أو تفسيرات سياسية ، لأن ذلك يفرض موضوعات لا تخدم الدين ، وإنما تخدم الأفكار و القناعات التي تسير المجتمع السياسي ، ونحن لا نريد أن يوظف الدين لأغراض مجتمعية ظرفية تدفع إليها السياسة ، بل نريد أن تكون سياسة المجتمع (جهوده السياسية) في خدمة العقيدة ، وحينما يخدم المجتمع دينه يكون في الوقت نفسه خدام ذاته.

3- ينبغي أن يركز المنهاج على جوانب حضارية في تحليل القضايا الدينية لأن الدين أخلاق وحضارة نشاط إنساني قوامه الأخلاق ، ومن ثم فلا بد أن يكون للحضارة التي نتطلع إليها كساء أخلاقي وبعد إنساني.

4- ينبغي أن لا يكتفي في تحديد عناصر الدرس الديني بالكم المعرفي الذي يقدم للتلاميذ ، بل لابد أن تعزز المعرفة التي هي شرط ضروري للإيمان الصحيح بما يجعلها مجسمة في سلوك الأفراد والجماعات ومواقفهم أي الجانب التربوي الذي هو أساس في كل عملية تعليمية.

إن الجمع بين المعرفة والسلوك الذي يترجمها هو أساس التربية الإسلامية ، فالسلوك هو الذي يعطي لكل نمط معرفي الصفة المميزة ، لذلك يجب أن يكون هو الغاية من الدرس الديني. والأسلوب الذي يجعلنا نحقق هذه المزاوجة بين الاعتقاد والسلوك وبين المعرفة والعمل والفكر والأخلاق هو اعتماد طرائق تربوية فعالة تخاطب العقل والقلب معاً ، وتسعى إلى جعل المعرفة الحقّة هي أساس الإيمان ، والفكر هو أساس العمل ، ولا يتحقق ذلك إلا إذا ابتعد المعلمون عن التلقين الذي لا يراعي نفسية المتلقي وقدراته ، وأشركوه في تحليل الحقائق ، ومكّنوه من استخدام ما لديه من إمكانيات عقلية وحسية ، إذ بها يهتدي الإنسان إلى الحق والحقيقة ، فتعطيل هذه الإمكانيات التي يملكها الإنسان منهي عنه في الإسلام ، قال تعالى (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً) [الإسراء:36].

في هذه الآية الجامعة لأصول النظر العلمي نلمس أساس المنهج التربوي الذي ينبغي أن يتبع (ففيها -الآية- أمر بالمشاهدة الصحيحة والتفكير الصحيح ، وفيها حث الإنسان لئتمسك بما يصل إليه من حق أو حقيقة ، عن هذين الطريقتين ، المشاهدة والتفكير).

ثالثا :المقترح في مجال الطرائق:

طرائق التعليم جزء من المنهاج الدراسي وأداة من أدوات تنفيذه ووسيلة من وسائل تربية التلميذ، وتنشيط قدراته، وجعله طرفاً أساسياً في عملة التعلم، لذا ينبغي أن تراجع الطرائق المستعملة والتي تركز كثيراً على التحفيظ والتلقين والاستظهار، بدل الفهم والحوار، والتفكير، ويمكن الرجوع في هذا المجال إلا ما تطرحه الطرائق الحديثة والنظريات التربوية القابلة للتنفيذ، خاصة في مجال إشراك التلميذ في الحوار والاستنتاج، وطرح الإشكالات واستخلاص الحقائق والأحكام التي يتضمنها الدرس.

أما في مجال تحفيظ القرآن فالأفضل أن يتجه الاهتمام إلى توفير المصاحف ووضعها بين أيدي التلاميذ ليتدربوا على التلاوة وعلى فهم الرسم المصحفي، والاعتماد على الذات، وينبغي أن ينبه المعلمون إلى أن كل مجال من المجالات الدينية يستدعي طريقة معينة وتحضيراً خاصاً.

الأساليب التربوية التي تفيد في إحداث الأسلوب المطلوب:

(أ) **التربية بالقُدوة:** وهي أهم أسلوب في المجال التربوي لأنها تجعل سلوك المعلم والأب أو المسؤول النموذج المقبول أو الجيد الذي يحتذى به.

(ب) **التربية بالقصة:** أسلوب الاتعاض بالقصة أو الحدث التاريخي أسلوب مؤثر وقادر على إفادة القارئ أو السامع أو الدارس بما تتضمنه القصة من معانٍ وعبر، لذلك ينبغي القرآن إلى ما في القصص من عبر وعظات. ويمكن للمربي اعتماد أسلوب القصة في التربية شرط أن يحسن اختيار القصة وأسلوب معالجتها.

(ج) **أسلوب الاستدلال:** إن اللجوء إلى استخدام التفكير والملاحظة للوقوف على الأدلة العقلية والنقلية التي بها يحصل الاقتناع، وتؤكد الحقيقة، أسلوب من الأساليب التعليمية العلمية التي لا يستغنى عنها، والقرآن يؤكد هذا في مواطن كثيرة:

(فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْبَصَارِ) [الحشر: 2].

(إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً) [الإسراء: 36].

(وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) [الذاريات: 20-21].

تشير هذه الآيات إلى أن البرهنة على صحة المعلومات وصدق الاستنتاجات تتطلب استخدام التفكير الصحيح، والملاحظة الصحيحة، ومقارنة الأدلة بعضها ببعض.

ويستطيع المتبع للنصوص القرآنية أن يستخلص عناصر خطة تربوية متكاملة تنطلق في الأساس من نظرة القرآن إلى الإنسان وطبيعة تكوينه، والعناصر المكونة لهذه الطبيعة، والفطرة التي ولد عليها، والإمكانات العقلية والحسية التي خلق مزوداً بها، والكيفيات المطلوبة في التعامل مع هذه الإمكانيات للارتقاء بها.

واستثمارها في مجال التعلم و البحث واكتساب أصول النظر الفكري وتوجيهها الوجهة التي تتلاءم مع النظرة العلمية.

رابعاً: المقترح في مجال التقويم (تقويم الأثر الذي تحدثه الدروس الدينية):

في هذا المجال نقترح أمرين :

1- الأمر الأول هو أن تصبح العملية التقويمية جزءاً لا يتجزأ من الدرس وعملاً متوجاً لكل مجموعة دروس أو لفترة دراسية معينة لأنه الأداة التي بها نجيب عن التساؤل الذي يطرحه المعلم : هل تحقق الهدف؟ وهل حصل التعلم؟ وما نوع الأثر التكويني الذي أحدثه الدرس؟ و القدرة التي اكتسبها من خلال معالجة الدرس؟

2- الأمر الثاني هو: أن نعدل عن أسلوب التقويم التقليدي القائم على استرجاع المعلومات واستظهار المعارف الملقنة ، من غير أن يشفع هذا الاستظهار بتساؤلات تؤكد استيعاب التلاميذ للمعلومات وإدراكهم للحقائق التي تتضمنها ، ومن غير أن يعرف المعلمون الطريقة التي بها فكر التلميذ ووصل إلى الحقيقة. لذا ينبغي أن يركز التقويم على الأثر الفكري و التكويني الذي أحدثه الدرس ، وطريقة التناول التي يفترض فيها أن تدرب التلاميذ على أسلوب التفكير ، وطريقة تحليل النص ، واستخلاص الحكم أو المعنى وفق ما يفرضه الوضع الذي عاجله النص أو الإشكال الذي طرحه.

فإذا كانت النقطة المتعلقة بالبرنامج و الموضوعات ليس للمعلم دخل فيها لأن أمر ذلك يرجع إلى الهيئة المسؤولة عن المناهج ، فإن النقطتين الأخريين : طريقة توظيف المعرفة ، وتقويم أثر الدرس هما من صميم عمل المعلم ، وترتبطان بالفنيات البيداغوجية التي يعالج بها الدرس ، وهذا طبعاً يطرح مشكلة المستوى الذي يُنتَقَى على أساسه المعلم وطريقة التكوين المعتمدة ، ونوع البرامج التي يتلقاها المعلم و المفتش ، لذا يجب أن يعاد النظر في سياسة تكوين المؤطرين ، طريقةً ومضموناً ، وخاصة في مجال التربية الإسلامية ، ويتطلب الأمر حينئذ أن تحدد المواصفات الفكرية و المعرفية و اللغوية التي يجب أن تكون عليها ثقافة من يُرَشَّح للتعليم ، وتوكل إليه مهمة التربية الإسلامية.

وأن تحدد الأهداف و الكفاءات التي يجب أن يتخرج بها في نهاية مرحلة التكوين ، وينبغي بالإضافة إلى ذلك تحديد برنامج تكويني دقيق وواف في مجال المعلومات الخاصة بالتربية الإسلامية بحيث تستجيب لأهداف المادة وطبيعة المعلومات التي تشترط فيمن يتولى تدريس هذه المادة ، ومن الشروط التي يجب توفيرها هي : حفظ

قدر من القرآن الكريم ، يشمل على الأقل السور والآيات المقررة في برنامج التعليم الأساسي أو السور والآيات المقررة في برنامج التعليم الثانوي إذا كان المرشح للتكوين أستاذاً. ومن الشروط كذلك أن يكون مدرباً على تلاوة القرآن تلاوة صحيحة تراعى فيها أحكام القراءات ، لأنه يطلب منه أن يدرّب تلاميذه على قراءة القرآن وترتيل الآيات ، كما يطلب منه أن تكون لديه معرفة تمكنه من التفريق بين الآية والحديث ، وبين الحديث والقول المأثور.

خامساً: في مجال التأطير:

ما ذكرناه في مجال التكوين يطرح المضمون الذي يجب أن يشمل برنامج التكوين ونضيف هنا المسألة الجوهرية المتعلقة بالتأطير، إن هذه النقطة يجب أن تعالج معالجة شاملة حقيقية بحيث لا تسند المادة إلى من ليس له معرفة كافية بها وبطرائق تدريسها وامتداداتها الثقافية والحضارية والاقتراحات التي نقدمها هي :

1- أن تسند التربية الإسلامية إلى أستاذ متخصص في مستوى الطور الثالث ، على غرار أستاذ التعليم الثانوي.

2- الأمر نفسه بالنسبة إلى مفتش الطور الثالث ، يجب أن يكون متخصصاً على غرار زميله في المرحلة الثانوية.

3- بالنسبة إلى المرحلة الابتدائية نقترح أن يعتمد نظام التخصص الجزئي بحيث يكلف كل معلم بمادتين أو ثلاث وبهذا يصبح معلم التربية الإسلامية معلماً شبه متخصص أي معلم مجالات ، قد يشمل المجال اللغة العربية والتربية الإسلامية ، أو التربية الإسلامية إلى جانب مادة أخرى ، بشرط أن يكون مؤهلاً تأهيلاً تاماً لتدريس مجالات التربية الإسلامية المختلفة.

4- وفي انتظار إقرار هذا النظام نرى ضرورة إعادة النظر في طرائق التكوين والبرامج لمعلمي المرحلة الابتدائية ، إذ لا بدّ من أن يخصص حجم كاف من المعلومات المتعلقة بمجالات التربية ، وبأساليب التربية ، ليكتسب المعلم بذلك ثقافة إسلامية وتربوية ، تسمح له بتدريس كل ما يتعلق بفروع التربية الإسلامية علماً وطريقة ، ونلح بصفة خاصة على أن يكون حافظاً لجزء مهم من القرآن الكريم وخاصة الجزء المقرر للمرحلة التي يدرس فيها حتى لا يكون المعلم غريباً عما يكلف بتدريسه.

من الضروري انتقاء الأساتذة الذين يكلفون بتكوين المعلمين خاصة في مجال التربية الإسلامية (في مجال تعميق المعارف الدينية وفي مجال الطرائق) ، ونلاحظ هنا أن السياسية التي اقترحت منذ بضع سنوات وهي أن

تكلف المدارس العليا بتكوين معلمي المرحلة الابتدائية في جميع المواد التي هي أكثر من عشر مواد، هذه السياسة لا نعتقد أنها مفيدة، إذ يستحيل على هذه المدارس أن تعمق تكوين المعلم في المجالات المختلفة فمهمة الجامعات ليست تكوين المعلمين وإنما تكوين الباحثين والعلماء والمهندسين، فالمعلم فنان يحتاج إلى بيئة خاصة، وإطار خاص، ونظام خاص كذلك، فالتعليم موهبة وعلم وفن، وليس في إمكان الجامعة الحالية أن توفر الظروف التربوية التي تنمي هذه الموهبة وتعطي أصحابها العلم الملائم وتدريبهم على فن التدريس، مع مختلف مستويات الأطفال في الابتدائي.

سادسا: المقترح في مجال التوقيت:

إن الدقة في تحديد الأهداف وضبط المحتويات وتصنيفها وتحديد الطرائق الفعالة، وكذلك انتقاء المعلم وتطوير طرائق تكوينه لا يجدي نفعا إذ لم يكن الوعاء الزمني المخصص لكل معلومة من المعلومات أو لكل مجال من المجالات كافيا ومحققا للأهداف. لأن الزمن أساس في عملية التعلم خاصة إذا كان المضمون التعليمي المقرر ليس بسيطا، وكان المتعلم (المتلقي) صغير وغير ناضج. لذا نقترح أن يراجع التوقيت الأسبوعي المخصص للتربية الإسلامية بحيث يكون ملائما لأهمية المادة، وتنوع مجالاتها، وميسرا لعملية الشرح والتفصيل التي يتطلبها العمل مع الأطفال الصغار، وأقل ما ينبغي أن يكون عليه التوقيت الأسبوعي هو ساعتان على الأقل في المستويات الدنيا وثلاث ساعات في المستويات الأخرى. إذ لا يجوز أن تخصص للتربية الفنية ساعتان ونصف، ويخصص للتربية الإسلامية التي تشمل التحفيظ والتعليم والدراسة أقل من ذلك.

سابعا: الكتب والوسائل:

التعليم أهداف ومضامين وطرائق ووسائل مساعدة ويأتي الكتاب في طليعة الوسائل المساعدة على التعلم. لذلك لا بد من العناية بتأليف الكتاب الذي يلائم المادة التعليمية، ومستوى التلاميذ، ويعتمد الأسس البيداغوجية في تنظيم الدرس وتبويب المعلومات واختيار اللغة السليمة والدقيقة التي توصل المعنى إلى ذهن المتعلم، والأسلوب الواضح الذي يعين القارئ المتصفح للكتاب على استيعاب ما يهدف إليه المؤلف، ويضاف إلى ذلك ما ينبغي أن يراعى من الجوانب الفنية والجمالية التي من شأنها تشويق التلاميذ إلى تصفح الكتاب، وشد انتباههم إليه، فتوضيح الخط والرسم واللون وتنظيم الكتابة كلها فنيات يجب أن نحصر على توفيرها في إخراج الكتاب.

* الوسائل الأخرى: الأشرطة السمعية:

ولتدريب التلاميذ على تلاوة القرآن تلاوة صحيحة نقترح على الوزارة المعنية إنتاج أشرطة سمعية توضع في كل مؤسسة لتدريب التلاميذ على ترتيل القرآن وقراءة الحديث على غرار أشرطة الأناشيد، دعماً لتحسين مستوى الأداء - أداء التلاميذ والمعلمين - لأننا نفتقد الأداء الجيد في مدارسنا.

وفي هذا الصدد نلفت انتباه المسؤولين إلى ضرورة العناية بالقراءة في المرحلة الابتدائية بالخصوص لتحسين مستوى النطق وخاصة في قراءة النصوص القرآنية، ونوصي في هذا السياق:

* تجمع النصوص القرآنية المقررة في كتاب ووضعها بين يدي التلاميذ والمعلمين ليتدربوا على قراءتها قراءة صحيحة.

* كما نوصي بأن يخصص المسؤولون - حسب الإمكانيات في كل مدرسة أو معهد - قاعة لممارسة العمل التطبيقي الخاص بأداء الصلاة ليتمكن التلاميذ من فهم الأحكام الشرعية وطريقة ممارستها، ونوصي المعلمين في هذا المجال بأن يعملوا العبادات على إجراء تطبيقات عملية تيسر فهم العبادات والدروس الملقنة. ونود أن نؤكد في الأخير على اقتراحين نراهما هامّين هما:

* الاقتراح الأول: ضرورة توفير القدرة الحسنة باعتبارها أسلوباً تربوياً يحث عليه الإسلام (وقد أشرنا إلى ذلك ضمن الأساليب التربوية).

* الاقتراح الثاني: مواصلة الاهتمام بالتربية الإسلامية في مستوى التعليم العالي، وتفصيل ذلك كالآتي:

1- القدوة الحسنة: من الأساليب التي تؤثر تأثيراً قوياً في المتلقي أو السامع التربية بالقدوة لأنها أسلوب عملي حي يجعل سلوك المعلم أو الأب أو المسؤول النموذج المقبول والجيد الذي يحتذى، فالقدوة الحسنة كانت أهم أسلوب تربوي متبع في بداية التاريخ الإسلامي، وفي تربية الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه، وعليه قامت أساليب التربية في الإسلام، وهذا الأمر تفتقر إليه اليوم مدارسنا حتى في سلوك المعلمين والمشرفين، فضلاً عما يوجد خارجه في الحياة الإدارية والسياسية والثقافية والأسرية.

إن المدرسة اليوم ما تزال تبحث عن السبل والأساليب التي تجعلها تستعيد قدرتها على التأثير في المتعلمين، من خلال البحث عن المواقف التي نقدمها للتلاميذ ليجعلوا منها نموذجاً حياً يقتدون به في سلوكهم وفي أعمالهم، والسبب هو أن المدرسة التي نتعامل معها اليوم قد أنشئت في حضانة مدرسة أخرى ليست لها صلة بالمجتمع، فقد حيل بينها وبين ماضي المجتمع الذي عاشت فيه مدة طويلة.

وحين استعادت البلاد سيادتها وجهت السياسة التعليمية جهود المدرسة إلى معانقة هذا الماضي من خلال التاريخ والدين واللغة العربية ولكنها رغم ذلك ما تزال لم تندمج كلياً مع هذا الماضي الذي أبعدت عنه زمناً طويلاً ، فما تزال بقايا من الأفكار المتأثرة بمخلفات العهد البائد.

وكم يؤسفنا أن نسمع بعض أبناء هذا البلد يدعو إلى وضع الماضي المرتبط بالتاريخ والدين واللغة بين قوسين ، وينسى هذا البعض أن ليس في استطاعة أية أمة أن تنسلخ عن ماضيها أو تتنكر له تنكراً تاماً ، لأن الماضي هو الذي كيف شخصيتها الحاضرة كما يقول محمد إقبال -في كتابه تجديد الفكر الديني - فمنظومة القيم انتقلت إلينا من الماضي هي التي تحرك حياتنا الحاضرة ، والانسلاخ منها يعد ضرباً من الارتواء في أحضان المجهول ، ولا يمكن للحاضر أن يكون حاضراً إلا بالانسجام مع هذه القيم التي تشكل الشخصية القوية فكراً وروحاً ، ويشير إقبال في هذا الصدد إلى دور الإسلام في تكوين أمة لها شعور بذاتها وكيانها الخاص وكيف تغلغل في تطور المجتمع بحيث يجعل له نفسية مميزة تكفل لأفراده الانسجام والوحدة في الظاهر والباطن بما يقاوم عوامل الفرق.

2- من النقاط الهامة التي يجب أن نوصي بها هي:

أن تصبح التربية الإسلامية أو العلوم الإسلامية جزءاً أساساً من المناهج المقررة لجميع شعب التعليم في جميع مراحلها بحيث ينبغي أن لا يتوقف الاهتمام بهذه المادة مع نهاية التعليم الثانوي ، بل لا بد أن تتواصل العناية بها في مرحلة التعليم العالي في شكل ثقافة إسلامية تدعم التخصصات والمعارف التي تلقن للطلاب في جميع الاختصاصات بحيث يتلقون قدراً ضرورياً من المعلومات الدينية والثقافة الإسلامية التي تدعم تكوينهم العام ، إذ لا يجوز أن يتخرج الطبيب أو المهندس مثلاً وهو يجهل الأمور الضرورية من الدين والثقافة الإسلامية.